يسعدنا أن تستغنوا عن نفطنا

لقد سئمنا، بل طفشنا، من كثرة ترديد مرشحي الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية في تصريحاتهم ومخططاتهم الوهمية للاستغناء عن نفط الشرق الأوسط، وهم بالتأكيد لا يدركون أن ذلك لو تم تفعيله لكان خيرًا وبركة لنا.

وللعلم، فنحن لسنا في حاجة إلى منْ يمتن علينا بشراء نفطنا المطلوب في كل مكان على وجه الأرض. وبصراحة مطلقة نحن نقول: إن ارتفاع مستوى الطلب عن المألوف ربما ليس في مصلحتنا على المدى البعيد. وتنويع مصادر الدخل في بلادنا أهم بكثير من رفع كمية إنتاجنا إلى الحد الذي يفوق حاجتنا الضرورية، وسوف نكون سعداء لو استطعنا نحن أيضًا الاستغناء عن بعض البضائع والسلع الأمريكية التي هي الأخرى يرتفع ثمنها مع مرور الوقت، وهذه النغمة الممجوجة لا تدوم عادة إلا لأيام قليلة، وهي مدة الدعاية الانتخابية، ثم تختفي حتى موعد الانتخابات القادمة لتُعاد الكرَّة بعد الكرَّة. وتستهلك أمريكا يوميًا ما يقارب تسعة عشر مليون برميل من السوائل النفطية، وتنتج الآن أكثر من عشرة ملايين برميل، وتستورد حاليًّا ما يغطي حاجتها من النفط الخام والمكرَّر، وقد بدأت أخيرًا بإنتاج النفط غير التقليدي من الصخور النفطية عالية التكلفة، بعد أن

تعدى سعر البرميل عالميًا المئة دولار، ومن المتوقع أن يرتفع إنتاجها من هذه النوعية بضعة ملايين برميل في اليوم خلال العقد الحالي. وكل رئيس جديد يُبدِّد جملة من الوعود، ويعطي الكثير من العهود بأنه سيعمل على تسهيل عمليات الاستكشاف والبحث عن مصادر جديدة للنفط التقليدي في أطراف الهضاب وأعالي البحار، وهو في الغالب يعلم علم اليقين أنه لا يملك من الأمر شيئًا، وإنما هي مجرد (وُعُود) واهية لا تسمن، ولا تُغني من جوع.

وعلى الرغم من حاجة الشعب الأمريكي إلى مصادر مستديمة للطاقة إلا أننا لم نَرَ أي مجهود جدي من قِبَل الحكومة لوضع مُخطط طويل المدى لمستقبل مصادر الطاقة يؤمِّن لاقتصادهم استمرار النمو الذي ينشدونه، ومما لا شك فيه أن أكبر تهديد للاقتصاد الأمريكي خلال السنوات القادمة هو النقص المتوَقَّع في إمدادات الطاقة، التي تعتمد في وقتنا الحاضر وبنسبة كبيرة على المصادر الهيدروكربونية، الفحم والنفط والغاز، القابلة للنضوب. وما بقي الآن من الاحتياطي النفطي يتكون معظمه من النفوط عالية التكاليف والمضِرَّة بالبيئة. وأمام الأمريكان، كما هي الحال مع غيرهم من الشعوب الأخرى، تحديات جمَّة من أجل تأمين مصادر إضافية متجددة للطاقة، وهو ما لم نشاهد له أي نشاط ذي قيمة على مدى السنوات القليلة القادمة. وأمريكا، مثلها مثل بقية الدول المتقدمة حضاريًا وصناعيًا لا ينقصها العلماء المؤهلون والمخططون البارعون والإمكانات التقنية والمالية، بل هي اللعبة السياسية التي غالبًا ما تؤدي دورًا أساسًا في توجيه مقدرات البلاد بحسب توجه المصالح الخاصة، فويل لهم من يوم أسود حالك قادم، ربما يصيب منهم مَقتلًا يؤدي بوضعهم الاقتصادي إلى حالة من التدهور يصعب معها تصحيح الوضع كما يريدون. وهذه دون شك حالة عامة سوف

تطول معظم دول العالم إذا لم يبادروا إلى الاستثمار في مشروعات مصادر الطاقة المتجددة، بدلًا من الاعتماد على وهْم طول عمر المصادر النفطية التقليدية، التي اقتربت الآن من مرحلة بداية النضوب، أو شح الموارد.

ولأمريكا مكانة خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد العالمي، وعملتها الدولار تكاد تكون العملة الرئيسة عالميًا، وهي أحد أقطاب السياسة الدولية. فأي خلل اقتصادي أو سياسي يصيب نظامها الداخلي سوف تكون له عواقب وخيمة على المجتمع الدولي وعلى الاقتصاد والسلم العالميين، ونحن لا يهمنا أن أمريكا تستغني عن نفطنا، أو أن تشتري نفطًا من غيرنا، فالذي يهم الجميع هو استقرار النظام والأمن الأمريكي، وهو ما لن يكون إلا بتأمين مستقبل مصادر الطاقة التي يظهر أنها ليست من أولويات قياداتها المتعاقبة، وهو أمر يدعو إلى الاستغراب، وقد لاحظنا خلال السنوات الماضية كيف أن بعض مساعدي ومستشاري الرئاسة في أمريكا يوجهون سياسة المنظمات البحثية، التي من المفروض أنها تقدم النصح المحايد البناء والصادق للإدارة السياسية حول اتجاه مستقبل مصادر الطاقة بحسب أهوائهم، بحيث تكون نتائج البحوث دائمًا إيجابية من أجل إرضاء الناخبين، وهذا غش وتدليس يضر بمستقبل الشعب الأمريكي.

ورؤساء أمريكا على الدوام يظهرون رغبتهم في استقرار منطقة الشرق الأوسط؛ لاحتوائها على جزء كبير من مصادر الطاقة الرئيسة في العالم، وهذا كذب مفضوح. هم فعلًا يريدون الاستقرار النسبي في المنطقة، ولكنهم يستخدمون التهديد أكثر من الترغيب للحفاظ على مصالحهم، ولو أنهم كانوا جادين في إقرار جو سلمي دائم في المنطقة، عامة والبلاد العربية خاصة، لعملوا على تغيير مواقفهم المنحازة كليًّا إلى الدولة الصهيونية،

وفي هذه الحالة تختفي جميع مظاهر العداوة، وتعيش شعوبها تحت مظلة سلام مشترك بينهم، وستجد أمريكا أن ذلك أفضل مردودًا لها على المدى البعيد، ولا يكون هناك أي خطر على تدفق الإمـدادات النفطية لجميع جهات العالم، فتعم الرفاهية، ويسود السلم.

ونعود مرة أخرى إلى موضوع مستقبل الطاقة في أمريكا. فهي، كمعظم بلدان العالم، ليس هناك أمل كبير في أن يكتشفوا مكامن نفطية كبيرة في الأماكن القريبة، برًّا وبحرًا، من قارة أمريكا الشمالية، ومن الأفضل لهم وللعالم بوجه عام، أن ينضموا إلى زمرة المتوجهين إلى مصادر الطاقة المتجددة، وعلى رأسها الطاقة الشمسية التي من الضروري وجودها اليوم لتكون رافدًا للمشتقات النفطية، وتساعد على سد ثغرة ذروة الاستهلاك وسط النهار في الأماكن الحارة التي تستخدم فيها المكيفات وذروة الأعمال الصناعية، ويتوافر في أمريكا مصادر أخرى متجددة، مثل الرياح، ومساقط الأنهار، والمياه الجوفية الحارة.

وأكبر وأخطر نكبة اقتصادية من الممكن أن تتعرض لها الولايات المتحدة في غضون عقود قليلة سوف تكون بسبب مباشر لسياسة الإنكار أن هناك أي احتمال لحدوث نقص في إمدادات الطاقة الهيدروكربونية خلال العقود القادمة. وعلى الرغم من ضخامة احتياطي النفط غير التقليدي الموجود على أرضهم أو قريب من حدودهم، إلا أنه مُكلف، وقليل الإنتاج، ومُعرَّض للإيقاف كليًا أوجزئيًا بسبب تأثير عمليات إنتاجه السلبي في البيئة.